بقعة ضوء

لماذا أصبح العالم أكثر ضجيجًا ؟

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 8 سبتمبر 2017

بقلم الدكتور زكريا خنجي

لا نعرف بالضبط متى بدأ الضجيج يفتك بالناس، فهل يمكن أن يقال إن الفترة التي كانت تسبق الثورة الصناعية هي الفترة التي بدأ الناس يتذمرون من الأصوات العالية أو الضجيج ؟

تقول الرواية الأكثر شيوعًا أن الضجيج وُلد وترعرع خلال الثورة الصناعية، وهذا هو رأي الطبيب دان ماكنزي، الذي كتب في عام 1916 الحكاية الرمزية «مدينة الضجيج» إذ قال فيها: «إنّ الطبيعة كانت هادئةً وماتعةً؛ وفي المقابل اتسمت الحضارةُ الحديثة بالضجيج، وكلما تطوّرت الحضارة أصبحت أكثرَ ضجيجًا».

ولكن يخالفه في الرأي الكاتب البريطاني ديفيد هندي في كتابه «الضجيج .. تاريخ إنساني للصوت والإصغاء» حيث يقول: «لكن هذا لا يعني أن الضجيج لم يكن موجودًا قبل الثورة الصناعية، فروما القديمة، وهي المدينة الأكبر في العالم في زمانها، والمعتدة بنفسها في ذروة قوتها وغناها بسكانها الذين بلغوا المليون نسمة، والتي كان يأتيها المهاجرون والتُجّار والعبيد من جميع المناطق في حوض البحر الأبيض المتوسط وما وراءه لأسباب اقتصادية، كانت الأعلى ضجيجًا بكلِّ المقاييس، الأمر الذي كان مصدرًا للإزعاج، وأدى إلى نمط حياة يومية تتصف بالتوتر

والنوم المتقطع، وقد صور أحد الكُتاب شيئًا من تلك المدينة القلقة المكتظة بقوله: "كثير من المُعتلين صحيًا يموتون هنا بسبب الأرق، ثمة حركة لا تنتهي في الشوارع الضيقة الملتوية»، أما في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وهو العصر الذي كانت فيه القصائد والأغاني تفيض بوصف غناء الطيور في الغابات والمروج وخرير الجداول وصفير الأشجار، فإن المدن التي كانت تنمو سريعًا قد حملت معها بالمثل بذور ضجيجها الخاص. إذ تُظهر سجلات المحاكم في بعض المدن الأوروبية، أن طرقات الحدادين، وقعقعة صانعي الأواني المنزلية، وصوت ضجيج السهارى حتى وقت متأخر من الليل كلها كانت مصدرًا من مصادر التوتر والمشكلات بين الناس. ثم جاءت الثورة الصناعية بصوتها الهادر وأنظمتها الميكانيكية، إذ أصبحت جميع أنواع الصناعات بمحركات بخارية، ومكابس هيدروليكية، وآلات ضغط، وآلات شحذ الحديد، وأصبح ضجيج الإنسان يخنق «المشهد الصوتي» الطبيعي الذي ظل في منأى عن التغيير قرونًا متعددة، أما المرحلة الأولى للثورة الصناعية أو عصر الآلة، فقد كانت الأعنف بالنسبة للعمال، مثل عمال خراطة الحديد، والحائكين، وسائقي المحركات، وعمال سكك الحديد إذ كانت تصم الآذان إلى درجة قد تسبب الإعاقة السمعية».

واليوم أصبح الضجيج سمة من سمات العصر، ففي البحرين مثلاً تواجه الضجيج في كل مكان، في الشوارع، وفي الوزارات وأماكن العمل، وفي البيت، وحتى غرف النوم لم تعد هادئة حيث ملأناها عن آخرها بالأجهزة والتلفزيون والتليفون بالإضافة إلى العديد من الأجهزة الإلكترونية التي تبث الكثير من الموجات الصوتية التي قد

لا نسمعها، ولكنها ذات تأثير على الأذن وبالتالي المخ والجهاز العصبي، هذا بالإضافة إلى السيارات التي تطوف الأحياء ليل نهار من غير حاجة لذلك، مجرد للتسكع، وللأسف هذه السيارات يقودها أناس لا يعترفون براحة الإنسان والبشر التي تعيش في المنازل ولا يستمتعون إلا وأن يسمعوا الناس من تلك الأغاني والموسيقى الصاخبة التي يسمعونها هم.

هذا بالإضافة إلى ضجيج الشاحنات والعمال وخاصة الذي لا يحلوا لهم العمل في ساعات راحة البشر.

ترى ماذا تقول منظمة الصحة العالمية، عن موضوع الضجيج ؟

وجدنا أن المنظمة تنصح بالإقلال من إصدار الأصوات والتعرض لها. إذ إن مستوى الصوت اليومي المأمون الذي يوصى به، هو أقل من 85 ديسيبل لمدة لا تتجاوز ثماني ساعات، ومن شأن خفض الصوت ولو بقدر يسير أن يوفر كثيراً من الحماية، ويمكن خفض الصوت عند الاستماع إلى أجهزة الاستماع الشخصية بمستويات الاستماع المأمونة، وتتمثل طريقة أخرى لإبقاء حجم الصوت منخفضاً في تحديد المستوى المأمون للاستماع لأجهزة الاستماع الشخصية عن طريق ضبط الصوت على مستوى مريح في مكان هادئ، على ألا يزيد على 60٪ من الحد الأقصى لحجم الصوت. كما تنصح المصادر الطبية بوضع سدادات الأذن عند التردد على الأماكن الصاخبة، فمن شأن هذه السدادات أن تساعد على خفض آثار التعرض للضجيج بقدر يتراوح ما بين 5 إلى 45 ديسيبل، وفقًا لنوع السدّادات، وأفضلها السدادات المزودة بوظيفة إلغاء الضجيج. كما تنصح المنظمة بتقليل مدة المشاركة في الأنشطة

الصاخبة، إذ تُعد مدة التعرض للضجيج أحد العوامل الرئيسة التي تسهم في تحديد مستويات الطاقة الصوتية الكلية وآثارها على من يتعرّض لها.

لذلك يمكن أن نوجه سؤال من هي الجهة التي من المفروض أن تراقب هذا الضجيج وتتحكم فيه؟ وهل فعلاً هناك جهة في البحرين يمكن أن تقوم بذلك ؟ لا أعلم.